فقد غلبت عليه الصبغة المادية (أي المذهب المادي) لأن الشريعة عرفت الالتزام بارادة منفردة أي (الجعالة) في التعبير الفقهي الاسلامي .. وكذلك أجازت حوالة الحق ، وحوالة الدين ولو من دون رضاء المحال عليه. كما أن الشريعة لم تهمل الصبغة الشخصية للالتزام لتكون ضمانا لحفظ حقوق الناس تجاه اولئك الذين يتخذون من مرونة الذهب المادي حجة يحجمون بها عن أداء الديون . والامتناع عن إيفاء التزاماتهم فبهذا تتجلى لنا بوضوح عظمة التشريع الاسلامي واستيعابه لأحدث النظريات الفقهية .. حقاً (إنه تشريع أزلي سرمدي)

كركوك – عراق نور الدين رضا الواعظ

صه نفر النفر

مسرحية الذباب لسارتر

للاستاذ يوسف الحطاب

لا أدري لماذا تحمست يوما لنقد ترجمة الدكتور القصاص لهذه المسرحية ، ثم عدت فأحجمت عن نقدها ، حتى قرأت كلمة عنها للدكتور شوقي ضيف ، في مجلة الثقافة تحت باب النقد، ليس فيها من روح النقد سوى عرض للمذهب الوجودي ، تلخصه عن مقدمة الترجمة ، بدأه بسخرية من « اتحاد شركات سارتر وأصحابه » وكنا نظن أنه سيلتزم هذا الاتجاه ، ويساهم في نقد الحركة الوجودية ، ونقد المسرحية التي يتعرض لها . ولكنه لم يخرج عن المقدمة التي كتبها المترجم ، والتي لخص الدكتور القصاص في نصفها الأول كتاب سارتر الصغير : الوجودية هي الإنسانية دون أن يذكر اسم الكتاب الذي نقل عنه من باب تأكيد الوجود الذاتي على حساب صاحب المذهب نفسه .

ولقد تكلم الدكتور شوقي عن الخط الأول من خطوط الوجودية ، فتناول الوجود وأننا نوجد أولا ، ثم نصنع ماهيتنا حسب إرادتنا ، لاحسب التأثيرات الطبيعية أو الاجتماعية .

ثم تناول الخط الثاني ، وهو خط الحرية ، وكيف أن كلا منا حر في تقرير مستقبله ومصيره ما دام كل يحيا كما يريد ، مؤكدا أن الحياة ليس فيها جبر من بيئة أو تربية أو أشياء ماضية ، ونفى كل التاريخ وقال إن الانسان يسوى نفسه في الصورة التي تبتغيها مشيئته وإرادته ، وأن هذا ليس وجودا فرديا خالصا ، لأنه في وجوده الفردي يكتشف وجود الآخرين – وبذلك أكد الوجود الفردي الذي يريد الوجوديون نفيه .

وبعد هذا التلخيص الطويل الذي استغرق صفحة كاملة من صفحات المجلة ، كنا ننتظر أنه ان يكتفي بالوقوف عنده ، وأنه سيتناوله بالرفض أو التأييد، ويوردلنا أسباب هذا الرفض أو التأييد، فلم يفعل شيئا من ذلك واتجه مباشرة إلى تلخيص المسرحية وإيراد نصوص منها تتضمن آراء وجودية أطلقها على كل مسرحيات سارتر – وفي هذا تخلص عجيب من فكرة مسرحية (الذباب) نفسها ، ولم يقل لنا لماذا أسماها سارتر « الذباب » ، وأسماها صديقه الدكتور المترجم « الندم » .

وأختم نقده بسطرين حكم فيهما على المسرحية من الوجهة الفنية قائلا « من يقرؤها يشعر أنه ليس لها نهاية محدودة إذ تبنى إلى رسم مواقف وأفكار دون رسم شخصيات » وأعتقد أن هذا التعليل للنهاية غير المحدودة غير سليم ، وقد سبق لنا أن تناولنا تعريف النهايات في مقال لا نريد أن نعود فنكرر ما جاء به من صورة ربط النهاية بالحياة . ثم عاد فقال « أعترف أني لم أشعر أثناء قراءتها لا بفرح ولا بحزن لأني كنت أقرأ عقلا صرفا له آراؤه لا قلبا له عواطفه » وليس هذا تعليلا صحيحا للحالة النفسية التي يكون عليها من يقرأ أعمال سارتر ، وضحته أن الوجودي يؤمن بالحرية ، وأن الانسان بعد أن خرج إلى هذا العالم صار مسئولا عن كل ما يريد وعن كل ما يفعل ، ولا هادي له في حريته سواه وحده ، لا عواطفه التي تدخل في باب الجبرية وهي شيء لا يعترف به الوجوديون .

وانتهى إلى شكر الدكتور القصاص على ما بذل في شرح آراء سارتر وترجمة مسرحيته ، وطالب بترجمة « الآثار الأخرى لكاتب الوجودية الأكبر » – ونحن مع احترامنا للكاتبين لا نريد أن نقول إن كلمة الدكتور شوقي مجاملة على حساب النقد

وكان لا بد من مناقشتنا لها ، لننتهي منها إلى رأى يوضح لنا حقيقة المسرحية المترجمة ، ما دام الناقد والمترجم لم يحققا ذلك ، حين قصر الأول نفسه على التلخيص ، ولم يسهم بفكرة أو تفسير المسرحية والمقدمة ، واستقى نهجه من عمل الترجمة الذى تصدى لنقده ، وبهذا أوضح لنا اتجاه المترجم ، وأنه كان مقصورا على التلخيص والترجمة فحسب حين توفر فى النصف الأول من المقدمة على تلخيص محاضرة سارتر التى طبعها فى الكتاب الذى ذكرنا اسمه وأغفل ملخصه ذكره . ولخص فى النصف الثانى مقالة من الجزء الثانى من كتاب سارتر (مواقف — situations) دون أن ينص على ذلك فى ترجمته . ولا نريد أن نقول ان هذا يتنافى مع أمانة الترجمة ، ولكنا نريد أن نتساءل لماذا قصر نفسه على هذين الكتابين بالذات ، وهما لا يعدوان فى مادتهما أدب المقالات التى ينشرها « سارتر » فى مجلته (العصور الحديثة) وكنا ننتظر منه حين وعدنا فى النصف الثانى من المقدمة بالكلام عن (مذهب سارتر الأدبى) ألا يتناول رأى سارتر فى الشعر والنثر ، وأن يورد لنا رأيه فى القصة والمسرحية ، فهذا ألصق بطابع الكتاب ، باعتبار أنه مسرحية مقروءة تقف بين المسرح والقصة . وكان يسرنا أن يذكر لنا هدفه من ترجمة هذه المسرحية بالذات ، ويورد لنا رأى سارتر فى الترجمة عامة وهل حقق المترجم ما يدعو اليه سارتر من التزام ؟

ونحن مضطرون إلى الاجابة نيابة عن المترجم ، وإلى الاجابة بالنفى عن هذه الأسئلة كلها ، لأن هذه المسرحية — من بين مسرحيات سارتر — قائمة على أسطورة اغريقية قديمة ، تعالج واقعا خاصا بعيدا عن واقعنا ، وكأن المجتمع قد انتهى من مشاكله ، واطمأن إلى حلها ، ولم يبق إلا أن يعيش فى عالم الأساطير . وهنا يتضح لنا هدف دعاة الوجودية ، فهم جماعة من محبى الهرب ، يهربون من المجتمع إلى ذواتهم ليحققوا وجودهم — ولو على حساب المجتمع . ويهربون من واقعهم إلى واقع قديم غريب عليهم ، دون اعتراف بالزمن والتاريخ . ويهربون من واقع الحياة فيعيشون واقعا مستمدا من فلسفتهم دون تفرقة بين عالم الفلسفة الفكرى وعالم الحياة .

فإذا جاء الدكتور القصاص وترجم لنا مسرحية هذه صفة أصحابها ، كان واجبه أن يذكر لنا هدفه من الترجمة ، وأى نوع من القراء قصد بها ، لا أن يعتذر فى نهاية مقدمته ويقول « قد يدهش القارىء من أننا لم نقل شيئاً عن مسرحية (الذباب) نفسها » ونحن نؤكد له أن القراء لم يدهشوا لسكوته عن الكلام عن مسرحية الذباب بل دهشوا لخروجه عن المذهب الذى التزمه ، فهم يعرفون حرص الوجوديين على إشاعة مذهبهم وتوضيح جوانبه ، والتزامهم تحويل الجماهير إلى معسكرهم بتقديم أعمالهم ومعها تفسير يذهب بكل إبهام ، حتى يحتضنها كل قارىء ، ويعرف كيف يجيد الدفاع عنها . ومما يؤسف له أنه قد سبق ترجمة هذه المسرحية إلى العربية مسرحية وجودية أخرى ترجمها الأستاذ رمسيس يونان وكان أكثر حرصا من مترجم (الذباب) حين قدم لها بمقدمة عن المسرحية التى ترجمها ، وأنهاها بكلمة عن المذهب الوجودى . وهكذا نستطيع أن نقول ان حقيقة الالتزام — الذى يتمسدق به الوجوديون — بعيدة عن ترجمة مسرحية الذباب الوجودية .

وما دام الالتزام هو الخرافة التى يتكىء عليها الوجوديون — دون تحقيق لها — فإن كل عمل من أعمالهم يخلو من الالتزم ، منقوض من أساسه . ومن هنا يصح لنا أن نهمس فى أذن الدكتور القصاص أنه لم يعد فى تقديمه لمسرحية (الذباب) دور المترجم الناقل ، وفشل فى لعب دور الرائد الذى سبقه غيره فى القيام به ، وأصبح هو لا يمثل بترجمته إلا المدرسة القديمة . ولو قرأنا رأيا كتبه الأستاذ على أدهم عام ١٩٢٩ فى مقدمة ترجمته لمحاورات رينان لأدركنا قدم مدرسة القصاص فى الترجمة حتى على هذا التاريخ قال الأستاذ أدهم :

« والكاتب الكبير يتشرب عصره — تلقاء ذلك رأيت أن أنسب طريقة أمهد بها السبيل إلى فهم رينان ، هى أن أكتب مقدمة موجزة ، أشير فيها إلى موقفه من الحركة الفكرية التى قامت فى القرن التاسع عشر ، وإلى كشف عن تأثيرها ؛ وهو بحث عويص مشعب الأطراف كنت أوثر السلامة على التورط فى غمراته . ولكنى أعلم العلم كله أن المترجم فى هذا البلد من واجبه أن يكون شارحا إلى حد ما . ومن اقتضاءات عمله أن يضع القارىء على النهج وينير له الطريق » .

فهل حقق الدكتور القصاص أول واجبات المترجم ؟ وهل ربط بين أدب الوجودية وروح العصر؟ وهل ربط بينها وبين غيرها من الاتجاهات ؟

إننا نورد هذا الرأى — وليس هذا لنا — ويؤلمنا أن نصارح به أى مترجم ، ولكننا نقلناه حتى لا نتهم بالقسوة فى النقد ، وهذه الرغبة نفسها هى التى تسوقنا إلى أن نصارح الدكتور القصاص أننا سنتجاوز عن المقدمة وعما بها من متناقضات حتى نناقش الرواية ونعرف إلى أى حد تتوفر فيها المسرحية . سنتجاوز عن تسميته للوجودية بأنها فلسفة ذات مبادىء ، وعودته مرة ثانية ونسخه لهذه التسمية . وسنتجاوز عن دفاعه عن الذاتية فى الوجودية ثم نفيه للفردية عنها بإيراده لنظرية « تشابك الذاتية » وهى تعديل لحق المذهب الوجودى يتناقض مع طبيعته .

وسنتجاوز عن تسميته للقلق والهجران واليأس بأنها « كلمات » مع أنها مقولات » فلسفية . وسنتجاوز عن ترجمته للـ condition humaine بالوضع الانسانى قاصدا به « مجموعة الحدود التى توجد بادىء ذى بدء وتخطط لانسان معالم وضعيته situation » وكلتا الكلمتين « وضع » و « وضعية » لا يعترف بهما رجال الفلسفة . وسنتجاوز عن تعريفه الحرية الوجودية بأنها « انتصار المرء الدائم على شهواته وعلى نفسه وعلى طبقته الاجتماعية وعلى وطنه » وهو تعريف خيالى لا يتفق وطبيعة المذهب الوجودى الذى ينادون بأن يحيا الانسان كما يريد !! ... ولكن من يدرينا لعل معنى الانتصار على الشهوة عند الوجوديين هو الخضوع المطلق لها ، والانتصار على الطبقة والوطن هو الفوضوية والخيانة ! ... وسنتجاوز من نفيه للتجريد عن الوجودية مع أن فى ارتداد الفرد إلى ذاته وتحقيق وجوده الذاتى عدم اعتراف بالواقع المتحقق ، وارتداد إلى عالم ذاتى كل ما فيه تجريد خالص ، بدليل أن المترجم ذكر أنه حرص على أن « يكون البحث خاليا من المصطلحات الميتافيزيقية » وعالم الميتافيزيقية كله تجريد وبعد عن العالم الفيزيقى .

سنتجاوز عن كل هذا وعن مناقشة الآراء الفلسفية لأننا هنا بصدد مناقشة نقد أدبى ورواية مسرحية يجب أن تتوفر على الكشف عن جوانبها الفنية . وليس تجاوزنا هذا من باب تجاوز الدكتور فى مقدمته عن ذكر أسباب عداء الجماهير والأحزاب لسارتر وينسى أن من حق القارىء عليه أن يعرف جانبا منها . فقد قدمت المسرحية للتمثيل — كما يقول المترجم — وفرنسا ترزح تحت كلاكل الاحتلال الألمانى وظلت تعرض على الخشبة أكثر من ثمانية عشر شهرا » ومسرحية توافق سلطات الاحتلال على استمرار عرضها هذه المدة يحق للجميع أن يعادى صاحبها ، لأنه تعاون مع سلطات الاحتلال ولاق منهم كل معونة فى الوقت الذى كانوا يملأون فيه المعتقلات بالأحرار الذين لا يمدون إلى الماء الناس عن واقعهم الأليم بواقع إغريقى لا يمت اليهم — كما فعل سارتر بهذه المسرحية الخائنة بل كما فعل بكل فلسفته . ولو قيل إن المسرحية لاقت نقد بعض الأدباء الالمان فانى أقول أنه كان نقدا مغرضا قصده التعمية ، أو أنه نقد بعض الأحرار الذين يرفضون كل أعمال الوجوديين أساسا لطغيان جانب الفكر فيها على جانب الفن ، بل وقضاؤه على المقومات الفنية ، وأن الفكر الذى تستند عليه مستمد من فلسفتهم التداعية . وأنهم لا يقدمون هذا الفكر تقديما فنيا فلا يعترفون بأن المسرح غير الكتاب ، وأنه ليس مجالا لعرض الأفكار وتعارضها بل مجال الحياة وصراع الأحياء وأن ايراد الفكر عندهم لا يكون بطريق الإيحاء والتلميح بل يحشو المسرحية بالفكر الفلسفية الجافة التى لا يكتفون بإيرادها صريحة بل يصوغونها فى قالب خطابى مثل الخطب الطويلة التى تمتلىء بها هذه المسرحية ، وإذا أرادوا إعطاءها الشكل الفنى استجلبوا صورا غريبة غرابة الفن السيريالى الذى ينقلونها عنه — وبهذا يهدمون لاستعانتهم بفنون غيرهم . وهذا واضح فى الخطبة التى انتهت بها مسرحية (الذباب) .

وإذا تركنا هذا جانبا — ونقول (انتقلنا) متأثرين بما صنعه مترجم المسرحية ، فقد جعلنا نحس فرقا كبيرا بين لغة المقدمة التى لخص فيها آراء سارتر ولغة المسرحية التى ترجمها . مع أن سياقهما واحدة وهى النثر فأنت تلحظ أن أسلوب المترجم فيهما مختلف . فبقدر حرصه فى المقدمة على بساطة التركيب ، واستخدام الكلمات استخداما موضوعيا ، نجد حرصه الكبير فى ترجمة النص على تعقيد التركيب واستخدام الكلمات استخداما جماليا —

ورغم أن هذا الأسلوب عدو المسرح ، فإنه خروج على طبيعة النثر الوجودية ، إذ يدخله فى مجال الشعر ، لأن الكلمات هنا تستحيل إلى « أشياء » تراد لذاتها . بل إنه أحيانا كان يعمد إلى السجع فيقول مثلا « هنا نحن نحيط بنا وجوهكم وكل ما كان فى هذه الحياة من متاع . وها نحن نلبس عليكم ثياب الحداد دون انقطاع » وهذا يجعلنا نقول فى أسف أن ترجمة النص جاءت بعيدة عن روح سارتر أو طمست معالمها .

ويبدو أن الدكتور القصاص شعر بخفة وزن المسرحية التى يترجمها فكان حريصا على أن يكسبها هذا الشكل البلاغى ، أو أنه شعر أنه يقدم مسرحية مقروءة فاعتمد على بلاغة الكلمات لاحساسه بأن الرواية تعوزها مسرحية الأحداث والحركات . ونحن مع اعترافنا بأن مسرحية الذباب — سواء فى النص الفرنسى أو الانجليزى — لا تعد وأن تكون مسرحية مقروءة فإنها ستظل كذلك على الأقل فى مصر ، لاتكاء المترجم على الكلمات واستخدامها استخداما بلاغيا لا مسرحيا . وبهذا أكد صفة القراءة فى المسرحية ونفى عنها إمكانية التمثيل ، لأن المشاهد العادى لن يستطيع متابعة حوارها البلاغى . ويبدو كذلك أن المترجم أدرك عدم قدرة المسرحية على اجتذاب الجمهور فتصرف فى ترجمة عنوانها حتى يلفت أنظار الناس وسماها (الندم) وتنبه أخيرا فكتب بخط صغير (أو الذباب) على طريقة مترجمى القرن التاسع عشر . ويظهر أن هذا الشىء الوحيد الذى قدمه المترجم أو لعله أراد أن يلخص المسرحية فى كلمة واحدة ، كلمة تذهب بكل مقومات المسرحية ؛ لأن المسرحية التى يمكن تلخيصها مهدومة من أساسها . أو لعل المترجم أراد أن يحاكى المؤلف حين اتخذ من أشخاصها أفواها يرددون كلماته حتى لا يفوت القارىء أدراكها . وكلمة الندم لا تتوفر الطبيعة المسرحية ، وهى قريبة من طبيعة الصراع الذى أورده مؤلف المسرحية وجعله يدور بين الإنسان والإله ، وهو صراع يتناقض مع طبيعة المسرح الحديث ، لأنه موقف فكرى معقد مجاله كتب الفلسفة أو المسرح الكلاسيكى القديم ، وفيه تطرف ، والمسرح قائم على عرض كل ما هو عادى متعارف عليه . واخضاع مثل هذا الموقف للمسرح فيه قسر وجبر يتنافيان وعدم اعتراف الوجودية بأى لون من ألوان الجبرية .

وهذا هو الأساس الذى تستند عليه المسرحية — المسرحية التى لا جديد فيها رغم الضجة التى أثيرت حولها هنا وهناك . ونحب أن نقول كلمة أخيرة انه على رغم تجديد سارتر فى عالم القصة وهو فيها متأثر بالقصة الأمريكية — فانه باء بالفشل فى المسرح فلم يقدم إلا النزر اليسير . وهذه المسرحية نفسها دليلنا على ذلك ؛ فهى فى شكلها لا تعدو المسرحيات الكلاسيكية من بنائها المسرحى وتقسيمها إلى مشاهد منفصلة ومراعاتها للزمان والمكان وقيامها على بطل تسلط عليه الأضواء من كل جانب بنسبة أكبر مما عداه من شخصيات . والتناقض واضح بين هذا الشكل الكلاسيكى ومضمون المسرحية الوجودى . وهى حين تعتمد على الأسطورة القديمة لا تقدم من جديد سوى « الذباب » وهذا فضل لا يرجع إلى سارتر بقدر ما يرجع إلى الكاتب المسرحى الكبير (جيرودو) الذى عالج الأسطورة نفسها فى مسرحية (الكترا) وذكر الذباب صراحة فجاء سارتر وأملت عليه وجوديته أن ينقل عنه ، ويضفى على مسرحيته ثوبا ممزقا من فلسفته المتداعية . ولكن يعزى (جيرودو) أن هذه المسرحية لم يعد لها أهمية تذكر بعد خروج الألمان من فرنسا وتوقف الصحافة الأمريكية عن التطبل لها لاشتغالها بما هو أهم منها .

يوسف الخطاب

تاريخ الأدب العربى

للاستاذ أحمد حسن الزيات

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوى ، ومستعاب موجز وتحليل مفصل واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى

طبع اثنى عشر مرة فى ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد